وَصَايَا وتَوْجِيهَات لِلشَّباب

1425/9/18هـ

الشيخ العلامة
ربيع بن هادي المدخلي
-حفظه الله-

إِنَّ الحمدَ لِلَّهِ نَحمَدُه وَنَستَعِينُه، وَنَستَغفِرُهُ، ونعوذُ باللَّهِ مِنْ شُرورِ أَنفُسِنَا، وسيِّئاتِ أعمالِنا، مَن يَهدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِل فلا هاديَ له، وأشهَدُ أنَّ لا إلهَ إلا اللَّهُ، وحدَهُ لا شَريكَ له، وَأَشهَدُ أنَّ مُحمَّدًا عبدُهُ ورسُولُهُ صلى الله عليه وسلّم.

أمّا بعد:

فإن دعوة الله الحق – دعوة الأنبياء والتي ورثها الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان- تتميَّز عن الدعوات كلِّها عن الدعوات جميعاً أنها تقوم على توحيد الله قبل كل شيء.

فإذا نظرت إلى الطوائف المنتسبة إلى الإسلام – سابقًا ولاحقًا- تجدها قد أهملت هذا الجانب أو قصَّرت فيه، وما قام به على الوجه الأكمل إلا من سلك مسلك الأنبياء ومسلك أصحاب محمَّدٍ صلى الله عليه وسلّم، وهم أئمة الحديث والفقه والتفسير وكلهم أئمة الحديث، فعرفوا شمولية هذه الدعوة، وعرفوا بماذا يبدءون وما الذي يجب البدء به، فحفظ الله بهم الإسلام.

فالإسلام في هذه الدعوة السلفية كأنما تلقى من فِيِّ رسول الله وأفواه أصحابه الكرام، لا تشوبه شائبة بدع ولا هوى، و إنما هو حقٌّ محضٌ خالص؛ لأنه مُستَنِدٌ إلى الوحي، إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلّم، ويسير في طريقهم في ترتيب الدعوة، البدء بالأهم فالأهم، وكتبهم واضحة في أبواب التوحيد ناضحة بهذا في أبواب القدر في أبواب الإيمان في كل الأبواب قائم هذا المنهج على أحسن الوجوه وأكملها، فعلينا أن نعرف قدر هذا المنهج، وأن نتمسك به ونعض عليه بالنواجذ.

كما أوصانا بذلك رسول الله في قوله الحكيم صلى الله عليه وسلّم حين وعظ أصحابه الكرام موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون[1]، فقالوا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، فقال: **"أوصيكم بتقوى الله عزّ**

(1) وهذا حال الصحابة – رضوان الله عليهم-، فإنهم عند هذه المواعظ توجل قلوبهم وتذرف عيونهم – رضوان الله عليهم- ما أخشع قلوبهم وما أنقى عقولهم وما أخلصهم في دينهم لله عزّ وجلّ، فهم خير أمة أخرجت للناس، وهم أسوتنا فنتأسى بهم في كل شأن. ... =

وجلّ والسّمع والطّاعة وإن عبداً حبشيًّا، فإنّه مَن يَعِش مِنكُم بَعدِي فَسَيَرى اختِلافًا كثيرًا، فعَلَيْكم بِسُنَّتِي وسُنّة الخلفاء الرّاشدين المهديّين، تمسّكوا بها وعضّوا عليها بالنّواجذ، وإيّاكم ومحدثات الأمور فإنَّ كلَّ محدثة بدعة وكلَّ بدعة ضلالة"[2].

علينا أن نفهم هذه الوصية حق الفهم، فهذه وصيَّةٌ عظيمةٌ جدًّا، يجب أن يدركها كل المسلمين جميعًا، فمن كان ضالاً عليه أن يرجع إلى هذه الوصية، ومن كان سلفيًّا مَنَّ الله عليه بهذا المنهج فليلزمها أيضا، ويُنَفِّذوا جميعا هذه الوصية العظيمة.

أوصى صلى الله عليه وسلم أصحابه بتقوى الله والسمع والطاعة في طاعة الله لا في معصيته، والطاعة لولاة الأمور – ومنهم العلماء–؛ فالحاكم إذا قال الحق وأمر به في أمور تهم الإسلام وجب طاعته، ولو كان في ذلك تَلَفُ نفسك ومالك في الجهاد في أمور تهم الإسلام، وإذا أمر بالمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

والعلماء إذا نقلوا نصًّا عن الله أو عن رسوله ونقلوا فهم السلف وجب قبول كلامهم؛ لأنهم –على الصحيح– من ولاة أمر المسلمين، وهم المرجع في أمور الدين، بل هم المرجع للحكام في قضايا الدين وعقائده ومناهجه، فعلى الحكام –أيضا– أن يستمعوا للعلماء ويأخذوا بما يقولون به من دين الله الحق، فلهم منزلة عظيمة في الإسلام ولله الحمد.

وقد هوَّنَ من شأن هذه المنزلة العظيمة للعلماء أهل البدع والضلال وأذنابهم المندسون في صفوف السلفيين ونالوا منهم، فهناك من يندس في صفوف السلفيين فيزلزل هذه المكانة في نفوس الشباب فينصرف كثير منهم عن العلماء بسبب هذه الأساليب الخبيثة، فترى المندس منهم يتلبَّسُ بلباس السلفية ويتحمَّس لها كذبًا وزورًا وإذا به يُفَرِّق ويُمَزِّق ويفعل ما يعجز عنه ألدُّ الأعداء في تمزيق السلفيين وتشتيت شبابهم، فوجب التنبه لهؤلاء الخصوم ومكائدهم.

قال صلى الله عليه وسلّم: **"فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا"** فما الحل تجاه هذا الاختلاف؟ قال: **"فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تمسّكوا بها وعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ "** هذا هو المفزع الذي يفزع الناس إليه، وهو الأمر الذي يجب في الخلافات والنزاعات بين الفِرَق أن يأخذوا به في غاية الحزم والعزم.

= وهذه الموعظة لم يُنقل إلينا نصها، ولكن في القرآن والسنّة ما يدل عليها ويدعمها، كقول الله تعالى: ((لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ))

فالقرآن والسنّة فيهما من المواعظ العظيمة ما يشفي ويكفي المؤمن الصادق، فلا يتطلع إلى مواعظ أهل البدع و الضلالات، كما يضحك الآن أهل الفتن على السّلفيّين بهذه الأضحوكات مواعظ مليئة بالأضحوكات وبالمغالطات والموضوعات من الأحاديث.

القرآن ما يكفيك، سنة رسول الله ما تكفيك؟!

(2) أخرجه أبو داود (4507) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (2549).

"**وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ**" سنتهم -رضوان الله عليهم- هي التمسّك بكتاب الله وبسنّة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، وما كان لهم من استنباطات من كتاب الله وسنّة رسوله -عليه الصلاة والسلام-.

سماهم خلفاء لأنهم خلفاؤه -صلى الله عليه وسلم- في النهوض بهذه الشريعة والقيام بها ونشرها والذب عن حياضها، فقد خلفوه في العقيدة والمنهج وفي كل الشئون التي جاء بها دين الله تعالى.

وهم قد تمسَّكوا بدين كامل لا نقص فيه، فما قبض الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم حتى أكمل هذا الدين، فلم يحتج إلى إضافات وزيادات، ومن نقص منه فهو فاجر، ومن زاد فيه شيئا فهو فاجر، فعلينا أن نحترم هذه الشريعة فلا نزيد فيها ولا ننقص شيئاً، بل نتمسَّك بها ونعضُّ عليها بالنواجذ.

فعلينا أن نأخذ بهذه الوصية ونجعلها نصب أعيننا، فلها أدلة كثيرة تدعمها من كتاب الله ومن سنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-.

قال سبحانه وتعالى: ((**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**)) [النساء: 59].

فعلينا بكتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلّم وما قرره السّلف الصّالح في ضوء الكتاب والسنّة، بخلاف ما عليه بعض هؤلاء المدسوسين على المنهج السلفي، فإنك تأتيه بالنصوص وهو يتلاعب فيها ولا يريد التحاكم إلى الله و رسوله، وتجده يعبث بالنصوص.

وهؤلاء أخطر على الدّعوة السّلفيّة من الأعداء الواضحين؛ لأنّ العدو الواضح تأخذ منه حذرك، أما هذا فيلعب على كثير من الشباب ويضحك على عقولهم ويذهب يعبث بالمنهج السلفي ويتلاعب فيه كما يشاء، فيردون النصوص ويضعون الأصول والقواعد الفاسدة لزلزلة هذا المنهج وشبابه.

ويجب أن يكون كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلّم وما قرره السّلف الصالح ميزانًا لأيِّ فكر ولأيِّ دعوة مدسوسة نشأت داخل الصفوف أو جاءت من الخارج، ويكون هذا الميزان مضبوطا تماما -الذي لا يمكن أن يتطرق إليه الخلل- مقبولا عند الناس تماما إذا نحن احترمناه والتزمناه، ولا يمكن أن يفرِّقنا أحد أبدا مهما كاد ومهما مكر، ولا نؤتى إلا من الجهل والهوى.

أما إذا تجردنا لله وأخلصنا له واحترمنا دين الله الحق، وأخذنا بمثل هذه الوصايا والتوجيهات فسنكون بمنأى عن هذه الزلازل والأعاصير التي تهب على هذا المنهج وأهله من هنا وهناك.

وعلينا أن نعلم أن هذا الأمر مدبر، فلقد أدركنا من واقع السلفيين وحالهم في مشارق الأرض ومغاربها أنهم كانوا على قلب رجل واحد، علماؤهم أخوة متكاتفون لا خلاف بينهم لا في عقيدة ولا في منهج، وشبابهم كذلك، ويأتي

السلفيون من شتى أقطار العالم ويجتمعون في الحرمين إخوة لا غل ولا حقد ولا خلافات، فأزعج هذا أعداء الإسلام من اليهود والنصارى؛ لأن هؤلاء الأعداء لا يخافون من شيء كخوفهم من هذا المنهج، وأهله الذين فهموا القرآن و السنة وطبقوهما، فلا يخافون لا من الروافض ولا من الصوفية ولا من الإخوان ولا من غيرهم، ويعرفون حقيقة هذه المناهج وأنها مزيفة، فكثير منهم يتخذ منهم أولياء.

فلما رأوا نشاطا وقوة في المنهج السلفي حاربوه وجندوا له من داخل المسلمين من يحاربه، بل من داخل صفوف السلفيين ليفرقوهم، وفي غفلة من الشباب وعدم الإدراك ذهب كثير منهم فريسة لهذا المكر والكيد، فاستجابوا لنعرات ماكرة تدعي السلفية وهي لا تريد إلا ضربها وتمزيق أهلها، وبعضهم جاهر بالدعوة إلى الفرقة وتباهى بذلك.

فعلينا بتقوى الله والثبات على الحق والأخذ بهذه الوصايا الحكيمة من القرآن والسنة والعض عليها بالنواجذ كما أوصانا رسول الله صلى الله عليه وسلّم.

وقال صلى الله عليه وسلم بعد هذا: "**إِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ**" فما يأتيكم به -أيها السلفيون- هؤلاء المدسوسون كلها من محدثات الأمور، فإياكم وإياها، واحذروها أشد الحذر، وتآخوا فيما بينكم، وتعاطفوا وتراحموا وتعاونوا على البر والتقوى، وتمسكوا بكتاب الله وبسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلّم وعضوا عليهما بالنواجذ، وانبذوا البدع كلها صغيرها وكبيرها، وتمسّكوا بالحق الواضح والخالص من شوب البدع والدس والخرافات.

ومن كان عنده شيء من القسوة أو الشدة فليتق الله في نفسه وليرحم إخوانه وليحترم هذه الدعوة، وعليه أن يدرك بأنه -بهذه الأخلاق المنافية للمنهج وللأخلاق التي جاء بها الإسلام- تضر أضرارا بالغة، فليتجرد لله رب العالمين.

ومن أساء إلى أخيه فليطلب منه العفو، لتصفوا القلوب والنفوس وتخلص لله وتصدق في صلتها بالله عزّ وجلّ، وتصدق في نشرها لهذا الحق، ونبغي معالجة هذه الأمراض بالحكمة والموعظة الحسنة، الطبيب لابد أن يكون حكيما.

وقد رأيت طبيبَيْن جاءا ليُجريا لي عملية في عيني فرأيت فيهما من الرفق واللين والرقة شيء لا يخطر ببالك، فقلت يا ليتنا نفعل مثل هؤلاء؛ لأنه طبيب.

فالدعوة السلفية تحتاج إلى الرقة واللين واللطف ليقبل الناس منك الحق، وليس المقصود هنا رقة التبليغ الذين يطوفون على القبور -معاذ الله- ومداهنتهم وكذبهم، لا نقع في أي بدعة ولله الحمد، ومن وقع في بدعة فهو مريض نعالجه بالحكمة، قال الله قال رسوله صلى الله عليه و سلّم بالرفق عرض شيق لدعوتنا.

بهذا نخدم دعوتنا ويحبها الناس ويقبلون عليها، فإن كثيرًا من الشباب استخدم الشدة والعنف والهجر، ثم عادت هذه المسألة بين صفوف السلفيين تمزقهم، فلو كان هذا مع أهل البدع لَهَانَ الأمر قليلا وإن كان خطأً لكن أصبح هذا الأسلوب السيئ يُستخدَم في أوساط السلفيين يُمزِّقون بعضَهم بعضاً، فتثار بينهم الأحقاد، وتنفر القلوب والنفوس

من هذه الأشياء، فأدركوا أن هذه المسالك تقضي على الدعوة السلفية، وقد أدركنا هذا، حيث كادت السلفية أن تضمحل بسبب هذه الأساليب.

ولكن الآن –ولله الحمد– السلفيون في مرحلة طيبة، فزيدوا تناسقا وتحابوا فيما بينكم، وإقبالا على العلم ونشرا لهذه الدعوة على الوجه الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلّم وورثه عنه الصحابة الكرام والسلف الصالح، عقيدةً وعبادةً ودعوةً وأخلاقًا.

واعلموا أن الذين جُنِّدُوا لحرب الدعوة السلفية صنفان من الناس:

– صنف يُميِّع هذا الدين، فتراه يماشي الخرافيين وأهل البدع والأحزاب والعلمانيين وغيرهم ويريدك أن تغضَّ الطرف عن البدع والضلالات.

– وصنف آخر متشدد متعنت ومتزمت.

وكلهم كذابون، ولا يريدون إلا الإضرار بالدعوة السلفية وأهلها، فعليكم بالوسط الاعتدال، والجد في تحصيل العلم، والجد والاستماتة في نشر هذه الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والأخلاق العالية.

فالرسول صلى الله عليه وسلم بعث متمما لمكارم الأخلاق، والله –تبارك و تعالى– أثنى عليه، فقال سبحانه وتعالى في شأنه: ((**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**)) [القلم:4].

وكما وصفت عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **"كان خلقه القرآن"**[1]، فهو –عليه الصلاة والسلام– في القمة في تطبيق هذا القرآن أخلاقا ودعوة وحكمة ...إلخ.

وكان يوصي أصحابه الذين يبعثهم إلى الكفار فيقول: **"يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا"**[2].

فالتيسير والتبشير أمران مطلوبان، وأما التيئيس والتقنيط والحماقات والسفاهات مرفوضة، فهذا القرآن أُنزِلَ لقوم يعقلون، لقوم يتفكرون، لقوم يتدبرون، فاعقلوا وتدبروا وتفكروا واهتموا بنشر هذه الدعوة بهذه العقول الواعية.

وعلى الإنسان أن يعرف كيف يتصرف وكيف يتكلم وكيف يكتب وكيف يدعو وكيف ينشر هذه الدعوة، وكيف يواجه الخصوم وبأي أسلوب، كالحكمة والصبر واللطف وغيرها، فالمنهج الأساسي في هذه الدعوة هو

الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن في الابتداء.

---

(1) أخرجه مسلم (741)

(2) أخرجه البخاري (69) من حديث أنس رضي الله عنه، ومسلم (1732) من حديث أبي موسى رضي الله عنه

قال سبحانه وتعالى: ﴿**فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ [فصلت: 34].

هذا العدو تكسبه ويصبح صديقًا حميمًا وأقرب القريبين إليك ويقبل منك الحق.

وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضى، وحقق الله ما يطمح إليه كل مسلم مخلص لهذه الدعوة.

نسأله تعالى أن يعليها ويظهرها على الدعوات الباطلة والأديان الكافرة كلها، وهذه غاية عظيمة أرادها الله شرعاً وحققها كوناً في قوم نهضوا بهذه الرسالة على أحسن الوجوه فحقق الله لهم كل خير وأقام لهم دولة وقوة وشوكة.

﴿**وَعَدَ اللهُ الذِّين آمنُوا مِنكُم وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَستخلِفنَّهم في الأرْضِ كمَا استَخلَف الذِّين مِن قبلِهم ولَيُمكِنّنَّ لَهُم دِينَهم الذِّي ارْتَضَى لَهُم ولَيُبدِّلنَّهم مِن بعدِ خَوفِهم أمْنًا يَعْبُدونَنِي لا يُشرِكون بِي شَيْئًا ومَن كَفَرَ بَعْدَ ذلك فَأُولئِك هُمُ الفَاسِقُون**﴾ [النور: 55].

فتحقق هذا في عهد التطبيق الصحيح لهذه الأمة، فلما انحرفت عن هذا المنهج والتطبيق الصحيح، سلط الله عليها الأعداء ولن تتخلص من هذه الحال السيئة التي عاشتها من عدة قرون إلى الآن إلا بأن تعود إلى ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه –رضوان الله عليهم–.

واعلموا –وفقنا الله وإياكم لما فيه خير– أن الناس دائمًا في أشد الحاجة إلى هذه الدعوة إلى منهجها الحقيقي في كل زمان ومكان، حتى من ينتمون إلى المنهج السلفي يحتاجون إلى معرفة هذا المنهج وخصومه معرفة كاملة، وأي خلل في معرفة هذا المنهج يؤدي إلى تمزق وانهيارات في أوساط السلفيين.

فما نراه يجري في الساحات من خلل ومن انحرافات هو نتيجة عدم الوعي الصحيح الكامل لهذا المنهج، والمتربصون بهذه الدعوة وأهلها يعرفون هذه الثغرات ومن أين ينفذون، فحصلت مشاكل على المنهج السلفي.

وأرجو من عقلاء السلفيين ألا تتكرر معهم، فإن الأعداء يجدون ثغرات فيجب سدها بالعلم الصحيح والتدين الصادق والإخلاص لله واحترام هذا المنهج واعتقاد أنه دين الله الحق، فهو في باب معرفة الله تعالى وأسمائه وصفاته وتوحيده وإخلاص الدين لله على أحسن ما يكون كما يريده الله تعالى ولله الحمد.

من كتاب

اللُّباب من مجموع

نصائح وتوجيهات الشّيخ ربيع للشّباب

الميراث النبوي للنشر والتوزيع

ص(127–135)